Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 29/ No. 3/ 2021 المجلد 29/ العدد 3/ 2021

التناص القرآني في قصيدة الغزل عند ابن سهل الأشبيلي

ضفاف عدنان اسماعيل
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب / جامعة بابل
drdhifaf2018@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 27 / 1 /2021 تاريخ قبول النشر: 7/ 3/2021 تاريخ نشر البحث: 2021/4/1

المستخلص:

التناص مفهوم نقدي ظهر عند العرب وبلاغييهم واتخذ مديات عند الغربيين حتى نُسِب أليهم، فجاءت كتابات (جوليا كريستيفيا) في هذا الصدد وتبعها الكثيرون، وكان لنقّاد العرب صولة في هذا الميدان ليحددوا أشكاله وآلياته. واتخذ التناص عند (ابن سهل) آلية التكثيف والإيجاز أو التمطيط في بعض الأحيان، واتخذ شكل الاجترار أو ارتقى إلى الحوار في نصوص أخرى.

الكلمات الدالة: تناص، ابن سهل، الأندلس، الغزل.

Quranic Intertextuality in Ibn Sahl al- Ishbili's Love Poetry

Difaf Adnan Ismael
Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Babylon

Abstract

the Arabs and its rhetoric and took ranges among the Westerners until it was attributed to them, so the writings of (Julia Kristivia) in this regard came and many followed, and Arab critics had a connection in this field to define its forms and mechanisms.

And the intertextuality, according to Ibn Sahl, took the mechanism of condensation and briefness or elongation in some cases, and took the form of rumination or rose to dialogue in other texts.

Key words: Spinning, intentional, intertextuality, Ibn Sahl

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

1. المقدمة

تنوعت وتعددت الدراسات النقدية التي أخذت على عاتقها بيان مفهوم التناص، فتنوعت الأساليب والوسائل الإجرائية في ذلك. والشعر أحد الأوجه الأدبية بل أكثرها شمولية لموضوعة التناص، فهو قد يتداخل بجذور عدة وفنون متنوعة، إنَّه لا يقف عند حدود ثقافية أو معرفية أو فكرية واحدة بل هو يتجاوزها إلى الانطلاق نحو الثقافة العالمية بكل صنوفها وأشكالها. لذلك كثيراً ما نجد الشعراء تتداخل لديهم الأفكار والأساليب والصور، وهذا أمر خارج عن إرادتهم؛ لأنَّ تشكيل الحقل المعرفي هو مشترك عند الجميع، فالعادات والأفكار والتاريخ والأساطير واحدة عند شعوب متعددة، وهي ذات متوارثة عبر أجيال الأمة الواحدة؛ لذلك نجد التداخل النصّي أمر محتم عند الجميع وإنْ كان قد عدّه البعض مما يقع في باب السرقات ولكنّه في الأصل يقع في باب التناص، فلا يمكن أنْ ينكر المرء تأثره بروافد معرفته المؤسسة لثقافته.

ولذلك كان لابدّ من التعريج على معنى التناص في اللغة والاصطلاح وكيفية التناص مع القرآن الكريم فكان في اتجاهين الأول: التناص مع اللغة والألفاظ، والآخر: التناص مع الموروث القصصي القرآني في إطار النصّ الشعري الذي يقع في باب الغزل تحديداً؛ كونه يتعامل مع العاطفة الإنسانية في أدق تفصيلاتها، وبيان قدرة الشاعر على التماهي مع ذلك النصّ المقدّس، ليكسر حواجز كثيرة ويدلل على أنَّ الموهبة والمعرفة كفيلة بأنْ تفتح آفاق فكرية جديدة وتجعل من القديم حديثاً وجديداً، ويترك مجالاً لبناء رؤية جديدة في كل لحظة قراءة للنصّ تختلف حسب الثقافة المعرفية والنظرة النقدية للمتلقي.

2. الاطار النظري:

2. 1. التناص لغةً:

يُعدّ مصطلح (التناص) من المفاهيم النقدية التي شغلت الفكر النقدي العربي والغربي قديمًا وحديثًا، دارت حوله كثير من التساؤلات والطروحات والرؤى؛ للوصول إلى فهمه وسبر أغواره ومعرفة ماهيته، وما الهدف الذي يحقّقه، وهي كلّها صارت أمورًا متداولة عند الباحثين.

والمعاجم العربية رصدت هذا المصطلح محاولة تفسيره وتقنينه والتناص لفظة وردت في معاجم اللغة العربية ولم يغفلها أبناء العربية، فهي عند الخليل تعني « نَصَصْتُ الحديث الى فلان نَصّاً أي رَفَعْتُه، والمَنَصَّةُ: التي تَقعُدُ عليها العَروسُ. ونَصَصْتُ ناقتي: رَفَعْتُها في السير. والنَّصْنَصَةُ: إثباتُ البعير رُكْبَتَيْهِ في الأرض وتَحَرُّكُه اذا هَمَّ بالنُّهُوضِ. ونَصَصْتُ الرجلَ: استَقصَيْتُ مَسْأَلَتَه عن الشيءِ، يقال: نَصَّ ما عنده أي استقصاه. ونصُّ كلُّ شيءٍ: مُنتَهاه » [798/3:1]

وورد عند ابــن منظــور في لســان العــرب « نصــص: النَّصُّ: رفْعُك الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نَصًّا: رفَعَه. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ... مَا رأيت رَجُلًا أَنَصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِي أَي أَرْفَعَ لَهُ وأَسْنَدَ»[162/14:2]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وفي المعجم الوسيط هو« تناص القوم: ازدحموا »[926/2:3] أو قد يأتي دالًا على« ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا ولا يحتمل التأويل ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النصّ»[926/2:3] أو قد يرد دالًا على« الشَّيْء منتهاه ومبلغ أقصاه يُقَال بلغ الشَّيْء نَصه وبلغنا من الْأَمر نَصه شدته »[926/2:3].

مما تقدّم من المعاني التي وردت عند أصحاب المعاجم نقف على أنَّ مصطلح (التناص) يدلّ على الرفع والمركز والثبات والمحور والارتكاز والتقصي، للوصول إلى الأصل والواقع، كما أنَّه يؤكد على تقليب الكلام إلى وجوه عدة؛ للوصول إلى المعنى الأكثر قربًا لما أراده المنتج بالاعتماد على الأصول والقواعد، والإسناد إلى الجزئيات والكليات مصحوبًا بالقوة والشدة للإثبات.

كلّ هذه التعريفات الجزئية الواردة عند أهل العربية تمنح هذا المصطلح نوعًا من المطاطية، فهو مزدحم بالكثير من النصوص للوصول إلى الغاية المرجوة من الإجادة وشدة السبك النصي.

2. 2. التناص اصطلاحًا:

مع تطور العلوم والمعارف، وعلم النقد تحديدًا أخذ مفهوم التناص بعدًا مهمًا عند النقّاد في محاولة لوضع حدود معينة له، فمنذ بدايات ظهوره والتأسيس له في ستينيات القرن المنصرم فيما ظهر في كتابات (جوليا كريستيفا) وقبلها عند الشكلانيين الروس متمثلين بـــ(شكلوفسكي) ومدرسة براغ [4:ص] أصبح هناك اندفاع لفهمه وتطبيقه، وكيف ورد في النصوص الأدبية شعرًا أم نثرًا، وتكوين رؤية تمنع – بقدر الإمكان – أنْ يختلط بمفهوم آخر مقارب أو مشابه له، فهو « نقل خبرات سابقة أو متزامنة، وهو اقتطاع أو تحويل، وهو عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي مُعطى بالتعبير المتضمن فيه والذي يحيل إليه »[5:ص102].

فهذا تأكيد على أنَّ النصّ لا يولد من العدم، إنّما هو تربة خصبة للكثير من النصوص القديمة أو المعاصرة له تلتحم وتترابط فيما بينها؛ لإنشاء نصّ جديد يقوم على «التبادل النصّي»[6:ص14]، وهذا يحيل إلى تداخل وتعالق وتزاحم نصوص كثيرة ليست بالضرورة تنتمي لعصر وثقافة واحدة، بل هي قد تمتد لفنون وثقافات وعصور مختلفة فهو« ظاهرة تداخل النصوص بعضها بالآخر بعلاقات وكيفيات مختلفة، سواء وعى الكاتب ذلك أم لم يعِ » [7:ص29] .

عبر الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي نرى مقدار الترابط الذي يجمع بين الاثنين معًا فهناك ارتكاز ومحورية للنص، يتفاعل فيها مع نصوص أخرى تأخذ أشكالًا وصورًا متنوعة، فهي تأتي من روافد متعددة تشكّل بمجملها الوعي الثقافي والإدراك الفكري الذي يُسهم في بناء الوعي الإنساني في الثقافات العالمية؛ لذلك مساحات التناص لا تقف عند حد معين ولا نصّ معين، فهناك إرث عقائدي وفكري وأسطوري وديني وتاريخي، فضلًا عن الإرث الأدبي والمعرفي واللغوي، كلّها صور متشابكة لا تنفصل عن بعضها فالرمز والأسطورة أسست لبناء وعي فكري، والدين أسهم في شخصنة مبادئ وأفكار لتصحيح المسارات التي انحرفت عن مسارها الحقيقي؛ لذلك من غير المعقول أنْ تأتي نصوص حاضرة منفصلة عن الإرث الثقافي والمعرفي، فتلك الآثار هي مَنْ شكّلت

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

البدايات المعرفية الأولى للمنتج، وهي غير مقتصرة على ثقافته الأم بل تتداخل معها الثقافات الإنسانية الأخرى بتاريخها وثقلها ومعرفتها ومبادئها، فهي تحوّلت من إرث أممي إلى إرث عالمي.

وأنَّ تداخل العناوين المعرفية والعلمية منحت التناص مساحة غير محددة عبر الإفادة من تلك الخبرات وتضمينها في سياقه النصي، لتتآلف كل تلك الخبرات والنصوص مهما كانت صغيرة وبسيطة لتأخذ مكانًا مميزًا داخل المنشأ مانحةً إياه صورة توليفية جديدة من جهة ومعنًى جديدًا من ناحية أخرى.

إذن عملية التناص هي قدرة الناص (المنتج) والنص على التآلف والتعالق مع النصوص الأخرى المتنوعة بحسب أصولها المُشكّلة للوعي الفكري والإدراك الانساني، ليشكّل مساحة فكرية تفاعلية توليدية تأويلية تسهم في تأسيس ثقافة معاصرة[8:ص40] [9:ص63] [10:ص132،42] [11:ص120] فالعمل الفني « يدرك عبر علاقاته بالأعمال الفنية الأخرى والاستشهاد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها »[12:ص41] [13:ص321]. فكل نصّ ما هو « إلا نسيج من استشهادات سابقة»[5:ص105–106] كما يعبّر عن ذلك بارت، حتى يمكن القول: إنَّه «عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم بها نص مركزي يحتفظ بريادة المعنى » [5:ص108–109].

وبذلك يصبح النص المتناص « جوابا لسؤال مطروح مسبقًا، وكل نص هو في أصله حوار لواقع أو لنص آخر سابق أو متزامن »[6:ص34]، والتناص لا يكون وجوده في أي نتاج من دون وعي أو عبر فهم وقصدية المنتج إلا لغاية وهدف ولتحقيق وظيفة معينة قد تكون واحدة، أو وظائف عدة تضفي على النص روح خلّاقة في بنيته، ومن أهم الوظائف التي يمكن أنْ تؤثر على فاعلية التناص أنَّه يعمل على تشكيل وعي ثقافي متجدد، فالمنتج لا يحيد عن منابعه الفكرية والثقافية مهما تعددت وتنوعت، فهناك روافد اسطورية وفكرية ودينية، فضلًا عن الرافد الأدبي المتوارث أو المتزامن، ولا غنى للمنتج عن الرافد اللغوي، فهي نسيج متكامل غايته الإفهام والإيصال والتفاعلية، فالكاتب يقيم «علاقة مشروعة بين النص والموروث » [14:ص93]

فكلما ازدادت مصادره وروافده الفكرية كانت تلك دلالة على ما يتمتع به من قدرات معرفية تؤهله لإغناء نصّه بتنوع ثقافي ومعرفي، فكــل نص جديــد هو في حقيقته « نواة مركزية تتناسل منها نوًى أخرى لتتواتر النماذج وتتكاثر»[4:ص113].

ولا يقف الحال عند المنابع الثقافية بل يندرج فيه أيضًا الوعي الحضاري بكل تفاصيله ودقائقه، فهو يستعين بالجزئيات والصور البسيطة مهما صغرت هي كافية لتدخل في تشكيل صور فكرية جديدة بنتاج أدبي يستمد« وظيفته من علاقة مزدوجة تشده إلى النصوص الأدبية الأخرى السابقة له وإلى أنساق دلالية غير أدبية التعبيرات الشفاهية» [4:ص114] ليضفي مسحة «جمالية في الكتابة وجمالية في القراءة معًا» [4:ص114]، فالمنتج والقارئ هما قطبا عملية الإنتاج الأدبي.

2. 3. التناص القرآني:

تتنوع مصادر التناص عند المنتج مما يضفي على النصوص سحرًا وألقًا خاصًا يجعل منها مساحةً فكرية نقدية لاستقراء المفاهيم والروافد التي لعبت دورًا بارزًا لتأسيس نصٍ أدبي يولد من رحم نصوص أدبية أخرى باختلاف منابعها. ويلعب النصّ الديني أساسًا مهمًا في التشكيل والتكوين الأدبي ليكون أحد المنارات المعرفية في

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

منح النصّ المنتج وجودًا جديدًا يقترن به، فهو من أكثر الأصول التناصية التصاقًا بأطراف عملية التناص (المنتج– المتلقي) فالرسالة النصية هذه تحتاج إلى وعي عند الطرفين يقترن كلاهما بالواقع الثقافي والفكري المتحصل لقراءة جديدة لمضامينها، ومصادرها تختلف من حيث تداولها وفهمها؛ لأنَّها تخلق عالمًا جديدًا يحلق فيه المنتج دون قيود تحد من رغباته لتحقيق هدفه في بناء نص يتعالق مع نصوص أخرى قديمة أو مزامنة له، وهناك في الطرف الآخر قارئ يحاول فك الرموز النصية هذه واستشراف معانيها وأفكارها بما يتوافق مع ثقافته التي تيسر له السبيل للفهم والمعرفة والإدراك، والنص الديني والقرآني تحديدًا من أكثر النصوص قدسية عند المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، فهو نص ثابت لا يقبل الشك ولا التغيير أو التحريف وبه خُتمت الرسالات السماوية فكان حلقة وصل بين ماضيه وحاضره ومبيّناً للمستقبل، ولكثرة ما حوت النصوص القرآنية من رموز وأخبار وقصص دينية كانت كلّها عتبات يمكن للمنتج التناص معها وبناء نصّ أدبي يحمل فكرة ربّما استقاها من النصّ القرآني محاولًا خلق بنية تزدان بتلك النصوص؛ لتؤكد على مبدأ أو تشير إلى فكرة معينة التقطتها نظرته الفاحصة للمعاني المضمرة.

إنَّ القدسية التي أحيطت بها نصوص القرآن الكريم جعلت من الصعوبة بمكان التعامل معها بشفافية مطلقة، بل أنَّ معظم النصوص التي اتكأت على النصّ القرآني حاولت أنْ يكون تناصها دون خرق لها؛ لذلك كثيرًا ما نجد التناص يقع في الفخر والمدح والرثاء والثورة على واقع خاطئ عن طريق استلهام الوعي الديني، ومحاولة تغيير الواقع إلى آخر أكثر اشراقًا.

وغير خفي أنَّ عملية التداخل بين النصوص قد تحدث بشكل عفوي يخرج عن دائرة القصدية عند المنتج؛ لأنَّ النصوص « نسيج من الاقتباسات والاحالات والأصداء »[9:ص63]، لــذلك لا يمــكن أنْ يُــبنى نص « مقطــوع الصلة بالأيديولوجيا السائدة، إنَّ النصّ في حاجة إلى ظله وهذا الظل هو قليل من الايديولوجيا وقليل من الذات »[8:ص37]. لذلك صارت النصوص مشتركة في المعاني والصور والقيم فما هي إلا «نسيج جديد من استشهادات سابقة فالتناص قدرة كل نصّ مهما كان جنسه»[10:ص42]، فالإرث وروافده عالمية تنعكس على النصوص قديمها وحديثها لتمنحه روحًا «إنتاجية وليس إعادة الإنتاج »[10:ص42].

وفيما يتعلّق بالنص الديني القرآني، فهو من أهم الركائز التي يعول عليها المنتج في نتاجاته الشعرية، فهذا النسج اللغوي المحاط بهالة القدسية يمتاز على غيره من النصوص بقدرته على التجدد والإثراء، سواء كان من حيث المعاني والأفكار أو الصور والاستخدام اللغوي فضلًا عمّا يضيفه من أثر وجداني عند المتلقي يدفعه إلى التحري واستكشاف الفجوة التي يُحدثها الناصب اخراج النصّ القرآني من إطاره الخاص إلى الإطار العام ليُعيد « تشكيل علاقات أو روابط عقلية بين الإحساسات والأفكار والذكريات لاقترانها في الذهن لسبب ما »[15:ص28]؛ لأنَّ النص الديني مصدر« ثري بفعل تراكم هذه النصوص في ذاكرة الناص وإعادة استرجاعها من جديد بحسب ما يتلاءم والسياق النفسي والفكري للناص»[15:ص28].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

من هنا كان لنا وقفة مع الشعر الغزلي الذي تركه لنا (ابن سهل الأشبيلي) لاستقراء النصّ القرآني تحديدًا، وكيف تعامل معه الشاعر ووظّفه لانتاج قصيدة الغزل. ولنا أنْ نفصّل القول في تقسيم التناص إلى التناص مع اللفظ القرآني والتناص مع القصص القرآني.

2. 3. 1. التناص مع اللفظ القرآني:

شكّل الموروث القرآني على تنوع دلالاته مصدر إلهام مهم ومحورًا ترتكز عليه الكثير من المعاني. ولما كان التناص يُعطي انطباعًا عن مدى تعالق الثقافات وتداخل روافدها وتماثلها، أفاد المنتج من تلك البنى وكان لشعراء العرب وأبناء الأندلس فيما بعد فتح شبه الجزيرة الأيبيرية، وما كان لهم أنْ يتركوا هذه التقنية لتغيب عنهم، ونراها عند شعراء الأندلس جاءت بشكل أكبر وأعمق لإثبات ما حازوا من علوم ومعارف متنوعة بتنوع أصولها القادمة منها، لتفتح الآفاق أمام الفكر الأندلسي ليتعامل مع تلك النصوص ونصّه بتأني مع حسن الفهم والاستخدام.

لقد جاء التناص عند ابن سهل الأشبيلي الأندلسي الإسرائيلي– على حسب بعض الروايات– [16:ص] لتؤكد هذا التدفق المعرفي والدلالي.

ولم يقتصر الانصراف إلى توظيف النصوص الدينية عند حدود اللغة والمعاني أو تشكّل الصور بل هو مزيج من كل ذلك. ولعل العناية بما يتضمّنه النصّ القرآني وما له من قدرة على اختراق الزمان والمكان ليكون صالحًا لكلّ أوان ويضطلع ليكون أحد الروافد المشتركة بين الثقافة الواحدة أو المتعددة لقطبي عملية الإنتاج (المُنشئ/المتلقي) ليتحول إلى قاعدة صلدة تمكّن الشاعر من طرح أفكاره ورؤاه.

وأهم أشكال التناص وأكثرها إثارة ما يتعلّق بالبناء اللغوي فهو «نظام من العناصر المعتمد بعضها على بعض، تنتج قيمة كلّ عنصر من وجود العناصر الأخرى في وقت واحد»[17:ص134]، وهنا إشارة واضحة إلى تداخل وتفاعل البنى التركيبية المؤسسة للنص دون تفاوت .

إنَّ هذا التداخل بين نصين أحدهما يمتلك سطوة القداسة الدينية وآخر يتكئ عليه واضعًا «تحويرات مقصودة عادة ما تكون لها وظائف ايديولوجية إذ تتمثّل الأسلبة والتهجين في المزج بين لغتين اجتماعيتين في ملفوظ لغوي واحد تعبيرًا عن تعدد الأصوات»[4:ص107]. فالنص إذن يتحول إلى «أحد مظاهر التعددية الاجتماعية واختلاف الشخصيات في الوعي والجذور الطبقية »[4:ص107]، وهذا كله يعمد إلى تحفيز القطب الآخر في عملية التلقي (القارئ) ليبحث في مخزونه الفكري والمعرفي والثقافي على اختلاف منابعه لفهم النصّ «وإعادة انتاجه في ثوب جديد فكأنّه بحث عن الكتابة في الكتابة»[4:ص107].

ومن أنظمة التناص القرآني الواردة في شعر ابن سهل الغزلي ما يقوم على الاجترار والامتصاص في آنٍ واحد، فهو يعمد إلى النصّ القرآني فيجعله (نصًا غائبًا) يتكئ عليه نصّه الابداعي ليتمّ «محو النصّ الغائب في النصّ الحاضر»[15:ص30]باعتماد «هدم النصوص»[18:ص79] لبناء نصوص جديدة.

وهذا النظام التناصي هو «مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب»[19:ص53] [6:ص47]، وهنا يمكن القول: إنَّ المنتج يتعامل مع النص المقدّس «تعاملًا حركياً تحويليًا»[19:ص31] من ذلك ما ورد في شعره قوله:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وليس ثأري على موسى وحرمته بواجب وهو في حل إذا وجبا

ما يُثير الانتباه أنَّ الشاعر على الرغم من انتمائه إلى أسرة ذات أصول دينية يهودية، واختلاف الروايات في صحة اسلامه من عدمه، إلا أنَّه كان قادرًا على فهم النصّ الديني وتوظيفه لبناء نصّ جديد يقوم على مرجعيات دينية تعمّق الشاعر في سبر أغوارها ليجعلها تتلاءم مع الصورة المتكونة.

فقد أفاد من النصّ القرآني واستخدمه بوصفه أحد ركائز بنيته الفنية مع تمكنه من سحب الدلالة؛ لتتلاءم مع نصّه الجديد ومعناه الذي سعى إليه، فكان قادرًا على خرق القاعدة والخروج عن المألوف في تعامله مع النصّ الديني (الغائب) فهو غادر حلقة النقل الحرفي (التضمين)[4:ص107] والاستشهاد دون تغيير أو تحريف، وهذا يكشف عن عقلية قارئة متفاعلة واعية[6:ص] قادرة على التماهي مع النصّ القرآني بالرغم من صفة القداسة، ويمكن القول: إنَّ دافعًا نفسيًا ربّما جعله يجمع بين متناقضات ضدية بين الحلال والحرام، ففكرة كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2/66:20]، يقترن مع قوله تعالى في سورة المائدة:﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [5/5:20].

فهو يقف على أحكام جزئية مهمة في النصّ القرآني محاولاً الإفادة عن طريق آلية الامتصاص؛ ليغني نصّه الشعري وفي ذات الوقت هو يركّز على إبراز الواقع الاجتماعي الذي كان يسود الأندلس وأهلها من اختلاف ديني مع قدرتهم على التعايش في خضم ذلك التنوع، وهنا حاول جاهدًا أنْ «يتعامل تعاملًا حركياً مع (النص الغائب) لا ينفي الأصل بل يسهم في استمراره جوهراً قابلاً للتجديد، ومعنى هذا أنَّ الامتصاص لا يجمّد النصّ الغائب ولا ينقده بل يعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية»[6:ص48] مثل ذلك قوله في النص الشعري[16:ص17]:

من اليوم أرخ قبل أول شقوتي وآخر عهدي بالفؤاد المعذّبِ

نراه يتعارض مع قوله تعالى في سورة يونس:﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[10/10:20]، فالآية تدلّ على الشكر والحمد فيما تحولت عند ابن سهل إلى البؤس والشقاء باختلاف المسببات؛ لأنَّ استدعاء النصوص الدينية يتحقق عن طريق التراكمات والخبرات التي حصل عليها الناص عبر تعايشه مع المجتمع وتأثير البيئة فيه، أي عبر معتقده وعبر ثقافته وتعددية المرجعيات التي اعتمد عليها في تكوينه الثقافي»[15:ص28].

ويلح الشاعر على التماهي مع النصوص الدينية الحاضرة في عقله والمستترة خلف الصور المتحولة في نصّه الشعري مركّزًا على ما ورد في قصة موسى (عليه السلام) لتأخذ مساحة واضحة في نتاجه، وهذا يبرهن على ما سبق من أنَّ الناص يعتمد في تناصه على مرجعيات ثقافية متعددة، وحتى النصّ القرآني وردت فيه أنباء بني اسرائيل في مجمله، وكأنَّها إشارة من الخالق عزَّ وجلّ على مدى تعنتهم وشدة تكفيرهم للآيات الربانية، فهو حاول أنْ يفيد أيضًا من هذه الإحالة النصية، وبالطبع هو استدعى بناء شخصية ملازمة له اتخذ لها اسم (موسى)؛ مموهًا القارئ فلربما هو أراد موسى النبي ليدلّ على ديانته الأم (اليهودية)، أو أراد تضليل المتلقي من أنَّه يسير على وفق نسق شعري عُرف في بلاد المشرق بكثرة وعابه أبناء الأندلس وهو الغزل بالغلمان، والأخبار الواردة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

عند حياته تشير إلى مثل هذا المجون ولو أنَّ هناك إشارة إلى إيمانه، فتضارب الأنباء يُعطينا فرصة للأخذ بفرضية مجاراة أهل الأندلس لأبناء المشرق في أغراضهم ونصوصهم ومحاولة التفوق عليهم جعله يطرق هذا الباب ومن ثم ثبت ذلك عليه[16:ص].

وهو قد أبدع كثيرًا في التعامل مع بعض المفردات الدينية ليخرج مجراه الدلالي من حقل إلى آخر من ذلك قوله[16:ص31]:

لقد كنتُ أرجو أنْ تكون مواصـــلي فأسقيتني بالبعـــد فاتحـــة الرعـــد
فيالله برد ما بقلبـــي مـــن الجـــوى بفاتحة الاعراف من ريقك الـــشهد

البيتان السابقان مثال يوضح قدرته الشعرية في التماهي مع النصّ القرآني واستخدام تقنية الامتصاص الديني مكتفيًا في ذلك على الإشارة إلى بداية سورتي (الرعد والأعراف) باختلاف المعنى في كل منهما لكنهما منحتا الشاعر القدرة على رسم صورته التي أراد، وفي «هذا تحقيق لقانون الإمتصاص الذي حاول النص أنْ يعيد تشكيل مرجعه على وفق تصوراته وقوانينه فلم يكتفِ بإعادته وتكراره بل ذهب إلى أبعد من ذلك محققًا العمق الدلالي المقصود» [6:ص54].

فمرارة البعد لا يمحو أثرها إلا ارتشاف وتذوق الشهد، فكانت هذه التناصات التفاتة أغنت النص الشعري وأثرت بنيته الصورية مانحةً إياه ايقاعًا خاصًا؛ لأنّ«الأواصر التي تربط عناصر النصّ بعضها ببعض تتكئ على التفاعل والاندماج وتؤدي إلى تأسيس علاقات لامتناهية مع نصوص غائبة»[15:ص29].

أو هو قد يعمد إلى تقنيتي الاجترار والامتصاص في آنٍ واحد، فيورد النصّ الديني كما هو لكنه من جهة أخرى يحاول أنْ يغيّر في بنيته التركيبية فيقدّم ويؤخر، من ذلك قوله:[16:ص34]

جرى القضاء بأنْ أشـــقى عليـــك وقـــد أوتيت سؤلك يـــا موســـى علـــى قـــدر
قد مُتُّ شـــوقًا ولكـــن ادّعـــي شـــططًا إنَّـــي ســـقيمٌ! ومـــن للعُـــي بالـــصورِ

فالتعامل مع النصّ الديني الغائب يجري على مرحلتين: تتمثل الأولى بـــ«إعادة كتابة لنص غائب بوعي سكوني»[4:ص109] بترديد ما جاء في النصّ الديني ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[36/20:20] لينتقل بعدها إلى امتصاص واختزال نصّ قرآني متمم يكتفي منه بذكر لفظة (قدر) الواردة في قوله تعالى:﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[40/20:20].

وهذا ربّما ما عرّفه جيني بأنَّه (التحويل) وهو « التصرف في معنًى معين والوصول به إلى معنى لم يكن في أصل دلالته ويكون الخرق بالتجاوز وفي مجال تفاعل النصوص »[4:ص109]، فالجمع بين نمطين من التناص في نسق واحد هو محاولة للارتقاء بالبنية الشعرية؛ للتأكيد على الموهبة والقدرة في التفاعل النصّي (الغائب والحاضر) في محاولة (لتمطيط النصّ لأجل التكثيف).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومثل ما تقــدّم يمكن أنْ يُقال عن الجزء الثاني الذي كان استلهاماً لقصة إبراهيم (عليه السلام) مــع الأســقام والتي أشار إليها رمزًا بما ورد في قوله تعالى:﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَــالَ إِنِّــي سَــقِيمٌ﴾[88/37:20-89]، مستعيناً بما ورد في سورة الكهف من قوله تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَــامُوا فَقَــالُوا رَبُّنَــا رَبُّ الــسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[14/18:20]

فادعاء المرض والابتعاد عن كشف الحقيقة واستلهام الصورة الواردة في النصّ وتأطير هذا النصّ بألفاظ دينية من نصوص أخرى، يمنحنا شعورًا أكيدًا أنَّ الشاعر لم يكن ينظر إلى النصّ الديني بشكل سطحي بل كان قادرًا على التفاعل معه ليتداخل مع جزئيات نصّه الشعري بشكل مكثّف، يربط بين الخشية والرحمة باستعانته بالآيات الدالة؛ لبيان واقعه النفسي المتراوح بين الخوف من الفراق وشدة الشوق.

وهو يلحّ على ذكر اسم (موسى)؛ لأنَّها «أسماء أعلام تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان»[11:ص65]، وهو يشير إلى جزئية السحر التي عارضها موسى (عليه السلام)، وإنّ ما جاء به هو الحقّ المبين لدحض السحرة والمنكرين، وجعل (ابن سهل) موساه ساحراً لما يحمله من صفات جمالية[16:ص35].

أبطل موسى السحر فيما مضى وجاء موسى اليوم بالسحر

فالتعارض والضدية بين الحقائق والوقائع أضفت على النصّ حالة شعورية جديدة تقع بين الإقناع والنفي.

لقد اعتمد الناص في تناصه الديني على آلية التكثيف، فكان يلجأ إلى أخذ جزئيات تبدو في«صورة مصغرة ... يتم فيها اختصار النصّ ذاتياً كما في التلخيص والحذف، وخارجية يتمّ فيها الزج ببعض النصوص أو أجزاء منها كما في التلميح والاقتباس والتضمين»[4:ص110].

والحق أنَّ (ابن سهل) عمد في آلية التناص إلى إثبات الأنواع والجزئيات الرئيسة والفرعية، فهو يشير ويلمح ويأخذ ببعض النصّ أو يقتبس جزءًا منه ولو كلمة تُحيلنا إلى النصّ الأول (الديني) كون القول الشعري لاحق له وطالما حاول أنْ تكون العلاقة بينهما مبنية على المماثلة والاقتداء أو المعارضة[4:ص110]، وإنْ كانت قد جاءت بوجهة أخرى؛ كونها جمعت بين نصّ تقديسي يدعو للتي هي أحسن ونصّ شعري يتحدث منتجه عن العاطفة والحب والغزل، إنَّها معارضة جاءت على لسان رجل نشأ في أسرة يهودية الأصل ثمَّ اتجه هو للإسلام ـــــ كما تُرجم لحياته – والغالب أنَّه كان ضليعًا في فهم النصّ القرآني ومحاولة بسط مساحة من التداخل بينهما بالرغم من اختلاف الموضوع وتباينه، إلا أنَّ الشاعر عمد إلى تكوّن مستويات التناص في استخدام المفردات الواردة في النصّ الديني لتتخذ مسارها في النتاج الشعري، ثمّ اعتماده على الأفكار والمضامين القرآنية والأخبار والقصص؛ لتكون أحد أهم مرتكزاته التأسيسية لبناء موضوعة الغزل بوجهة تغاير ما تعارف عليه الشعراء في أقوالهم، مما منح تلك القصائد الأندلسية روحًا جديدةً ولربّما عمد إلى عملية «التناص الاعتباطي»[4:ص111]، خاصة لمّا عمد إلى مفردات وألفاظ وردت في السياق الشعري لديه لكنَّ القارئ يمكن أنْ يقّلب في ذاكرته عن سياقات أدبية (دينية) وردت فيها تلك الألفاظ وشكّلت بنية قولية شعرية لديه، وبالتأكيد هناك في الجانب الآخر مفردات وأفكار واضحة تدلّ على آلية التناص بشكل واضح.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

2. 3. 2. التناص مع القصص القرآني:

ومن المؤشرات الشعرية عند (ابن سهل) اقتناصه لأكثر من سياق قصصي قرآني في محاولة للمزج بين مستويين لغويين: أحدهما اتسم بالقدسية، والآخر بشري حاول المنتج أنْ يرتقي فيه ليتلاءم مع السياق الأول، كقوله:

خضعتُ وأمرك الأمر المطاعُ وذاع السر وانكشف القناع
وهل يخفى لذي وجد حديث أتخفى النار يحملها اليفاع
عبدتُ هواك ما استهوى عفافي كأنّ الود ودٌّ أو سواع
هلكتُ بما رجوتُ به خلاصي وقد يردي سفينته الشراع

القصص القرآني بشكل لافت يُنظّر فهو يدمج أكثر من قصة وعبرة ليصبها في إطار شعره بالاعتماد على التناص اللغوي والفكري الذي يرفق في الجزئيات.

فهناك التفاتة إلى قوله تعالى[69/21:20]:﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، فبالرغم من شدة النيران إلا أنّها انطفأت فصارت سلاماً غير مؤذٍ والاخبار هو يحاول أنْ يوضح حسب تلك النيران بالإشارة إلى مفردة حديث لتحيلنا إلى حديث ابراهيم الخليل مع الله (البقرة /260) ففيها معنى الاطمئنان والقوة والغلبة لله سبحانه وتعالى. قال تعالى[23/71:20]:﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

فهذه أسماء لأصنام كانت تُعبد في زمن نوح عليه السلام، مع أنّ الروايات تذكر أنّهم رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام لما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أنْ انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصاباً وسمّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[21:ص571]، ويلتفت الى جزئية الخلاص والنجاة التي اختزل قصتها بكلمة (الشراع) دلالة على الايجاز والتكثيف مع أنّه عكس دلالة الشراع، فلربما يكون سبباً للنهاية بدلاً من النجاة بدلالة (يردي، يميت) ذلك هو حاله لما رجا الخلاص فإذا هو يهوي.

تكاد تكون الأساس الذي قام عليه سواء في استخدام الإرث التاريخي أو الديني ومحاولة توظيفه لبنية نصية نسقية في محاولة لبيان واقع حال مجتمعه، وإنَّ اللغة والأدب والدين كانت أصولا ثقافية تؤسس لحضارة انسانية شاملة، وفي ذات الأبيات يؤشر إلى ما ورد ذكره في قوله تعالى ليستلهم ما جاء في النصّ القرآني وكأنَّ تلك الأوثان تماثل صنم حبه فهو يعشق (موسى) حتى صار هو ود أو سواع موسى فكلاهما يمثّل صورة الشرك والعبودية لغير الذات الالهية، ويتم تلك اللوحة بقوله في أبيات من قصيدة تالية:[16:ص56]

أ موسى لقد أوردتني شر مورد وما أنا فرعون كفور الضائع
سحرت فؤادي حين أرسلت حية العذار وقد أغرقتني في مدامعي"

في إشارة واضحة إلى معجزات موسى (عليه السلام) لما أُرسل إلى فرعون وقومه فكانت المعجزات التسع، لكن الفارق بين موسى المحبوب وموسى النبي أنَّ فرعون (ابن سهل) يؤمن ويصدق بكل ما جاء به على عكس ما

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فعل فرعون الملك، ولربما سحر (موسى) صاحبه يكمن في لحظه لا في معجزاته وربما أبدع أكثر لما قال[16:ص57]:

لستُ في مدمعي غريقًا إنّما جسدي خفّ ضنى حتى طفا

في إشارة خفية إلى قصة فرعون لمّا غرق فأنجاه الله ببدنه ليكون آية للعالمين إلى يوم الدين، وكانت القرينة في ذلك هي (الغرق) و(الطفو) التي أفاد منهما في إبداع مثل هذه الصورة المتناصة مع قوله تعالى[92/10:20]: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

وهو قد يغادر قليلاً تعلقه وتناصه مع قصة موسى، إلا أنّه لا يغادر القصص القرآني من ذلك قوله:

ولـــــو دعـــــا ميتـــــا بألفاظـــــه إذن للبّـــــاه مـــــن القبـــــر

دُرٌّ ثنايـــــــــاه وألفاظـــــــــه فلقّبـــــوه الكوكـــــب الـــــدري

مـــــا عـــــوّذوه العـــين بـــل عـــوّذوا مـــن عينـــه النـــاس هـــوًى يـــسري

يا يوسف الحـــسن يـــا ســـامري الـــــ هجـــر أشـــفق للهـــوى العـــذري

أنـــت علـــى التحقيـــق موســـى فقـــد آمنـــت أنْ تغـــرق فـــي البحـــر

هذا النصّ وحده كفيل لبيان قدرة (ابن سهل) الشعرية ليتماهى مع النصّ الديني وتتناص لغته وأفكاره وتستلهم ما ورد في ثنايا القرآن الكريم، فهو يفيد من البناء القصصي لكثير من الأخبار التي وردت في النصّ القرآني، يستعرض معجزات عيسى (عليه السلام) وكيف يحيي الموتى بمشيئة الله .

يرسم صورة لملاحة وجه محبوبه بذكر يوسف (عليه السلام) الذي ارتبط وجوده بالبؤس والنعيم والخلاص وجمال الشكل، كذلك حال محبوبته هو نعيم وشقاء في آنٍ واحد حتى أضفى عليه صفات لا تختص إلا بالخالق عز وجل (كوكب دري)، وكان هناك لمحة قسوة تظهر بصورة (السامري) الذي وقع عليه العقاب فهجر قومه فلا مساس بينه وبينهم، ثمّ يستعين بقصة موسى وغرقه. ومثله قوله[16:ص39]:

إذ فئة العذّال جاءت بسحرها ففي لحظ موسى آية تبطل السحر

فتعويذة إبطال السحر هي (لحظ) موسى خليل الشاعر، وإنّ تماثل اسمه مع (موسى) النبي.

و(ابن سهل) يسعى جاهدًا ليفيد من كل الإرث الديني " تحريم المراضع على موسى" العلاقة بين فرعون وموسى، معجزة السحر التي أبطلها موسى وقلبها (ابن سهل) دار الخلد والجنان والولدان المخلدون، وأيضًا يستعين بقصة هاروت وماروت بقوله[16:ص82]:

هاروت أوضع في لحاظك سحره فأصاب قلبي منك مثل عذابه

وهو ما ورد في قوله تعالى[102/2:20]:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهو يربط بين السحر وأذاه ولحظ موسى وكلاهما له ذات النتيجة من مفاسد ومضرة، فالابتلاء والامتحان الوارد في النصّ القرآني واقترانه بالعقاب[360/1:21] يماثل العقاب والأذى الذي يلاقيه الشاعر من لحظ محبوبه.

والشاعر لا يترك نصاً قصصياً يفوته إلا ولجأ إليه باحثاً عن انفراجة له تمكّنه من إعادة صياغة النصوص وتلاقيها؛ لتكوين نصّ شعري جديد تتلاحم فيه اللغة المقدسة ونصّها القرآني مع النصّ الشعري، ولغة (ابن سهل) مكونة نسيجاً مترابطاً مشبّعاً بالألفاظ والدلالات معتمداً على ما ورد في القصص القرآني كما مرَّ ذكره في قصة موسى وعيسى وإبراهيم ويوسف، وأيضاً قصة نبي الله نوح (عليه السلام) حين يقول [16: ص75]:

ولو أنَّ عمري عمر نوح وبعثه ... بساعة وصل منك قلت كفاني

مراضع موسى أو وصال سَميّه ... نظيران في التحرين يشتبهانِ

فالدلالة التاريخية التي وردت في ذكر قصة نوح (عليه السلام) وكيف أفنى عمره في الدعوة إلى عبادة الله تعالى ولم يُطاع في قومه، قال تعالى[14/29:20]:﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، هذه الألف عام اختصرها (ابن سهل) بساعة فالتعويض بين العمرين يعادل ساعة زمنية تحمل له الوصال بمَنْ أحب، والافتراق الدلالي بين المعنيين جلي وواضح الترهيب يقابله الرغبة والحث على طلب الشيء وإنْ كان بباهض الثمن، وإنْ احتمل وقوعه وتمنيه.

ثمّ يتبع هذا الموقف بموقف قصصي آخر فيعود كرةً أخرى إلى موسى ليعقد صلة الوصل بين نبي الله ونبي محبوبته لينطلق ثانيةً إلى القصص القرآني وكيف حُرمت المراضع على موسى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [12/28:20]لإنتاج علاقة تواشج وتشابك بين الاثنين، فكلاهما متشابهين في الاسم ولربّما في الدين، وكلاهما محرّم على الناس فحب التملك والرغبة في انجذابه وبعده عن أعين الحاسدين والواشين للحفاظ عليه من أيّ أذى قد يُصيبه، وهنا نلحظ علاقة أضفاها الشاعر على نفسه؛ ليصبح هو بؤرة الحدث وعامل الجذب للآخر فتكون العلاقة بينهما مركزية ومحورية تفاعلية، ليكون هو مانحاً كريماً متخذاً من العبرة الدينية مُتّكأً لإعلان رأيه عن طريق (الإيجاز المكثّف) فذكر (عمر نوح) كافية للعودة إلى تصوّر الأحداث المرافقة لدعوته المرتبطة بانفراجة الفلك المشحون.

فهناك صورتان متشابكتان (ترهيب/ترغيب)،(فناء/حياة)، وهو يقرن كل ذلك بالنجاة من الموت المحقّق بالعودة إلى الأصل فهو أمان موسى كما أنَّ أمّ موسى أمان ابنها لمّا رفض المراضع كلّها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[40/20:20]، فالنجاة والخلاص والأمان كان مرتبطاً بالأمّ والعائلة، والإيجاز الذي عمل عليه الشاعر كفيل بأنْ يمنح القارئ القدرة على تخيّل الصور والربط بين الأزمات ومحاولة الغوص في مباني النصّ الشعري والوقوف على جزئياته لتكوين هذا النصّ الشعري بتصوّراته الكاملة.

والملاحظ أنَّ الشاعر لا يقف عند حدود فاصلة في نصّه فهو يستعين بالألفاظ والمضمون والصور والإرث التاريخي بشكل متكامل؛ لذلك تراه يُكثر في قاموسه اللغوي استخدام مفردات دينية تأتي تلميحاً أو تصريحاً، أو قد

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تأتي متفرقة ومنفردة ولربّما يعمد إلى التضمين والاقتباس الكامل، كذلك الحال بالنسبة للمعاني والصور فهو قد يعمد إلى جزء من الصورة أو قد يذكر ما يشير إلى صورة دينية؛ ليترك مساحة أكبر للمتلقي لاستكشاف وبناء صورة أكبر؛ لذلك يمكن القول: إنَّه قد عمد إلى التكثيف والإيجاز في أحيان وإلى التمطيط والاجترار في نمط آخر، ولا يعني ذلك إسفافاً شعرياً لديه بل على العكس من ذلك، فلو راجعنا نتاجه نراه قد تمكّن بشكل سلس من الجمع بين مستويين حواريين، الأول يتضمّن القدسية بكل معاني وأجزاء النصّ، والآخر يمثّل تجربة شعورية بكل جزئياته من حيث المستوى الصوتي الدلالي الشعوري الصوري والمضمون، وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما هو مساحة من الحركة العقلية القادرة على التفاعل بين النصوص المتباينة وصياغة نص يتألق بأوج القداسة وعاطفة المنتج.

ويمكن القول إنَّ التداخل بين الأجناس الأدبية حاضر في النص الشعري فهو يقتنص من نص قرآني، فهو يجمع بين فنّين أحدهما نقل بلغة نثرية وإنْ كانت ترتقي إلى لغة أدبية عالية، وأخرى بلغة شعرية تعتمد على القافية والتفعيلة والوزن وتخضع لقيود البحور الشعرية. وهنا يصحّ القول إنَّ غايات التناص قد حقّقت الغاية الفكرية والجمالية والفنية، فالشاعر ابتداءً كان على قدرٍ عالٍ من المعرفة الثقافية والمرجعية الدينية المتداولة المنفتحة على الآخر ليتلقف اللغة.

وإذا رجعنا إلى المعجم عند ابن سهل الشعري نراه يزخر بالمفردات القرآنية، وليس هذا فحسب بل أيضًا يمتد إلى الأصول والعادات والتقاليد والآداب الاسلامية، فهناك (الصلاة، الصوم، الزكاة، التعويذات الدينية، الفردوس، دار الخلد، الضحى، الفجر، عبس، عسعس، الزلزلة)، كما وردت الآثار القرآنية (هاروت، ماروت، نوح، إبراهيم، عيسى، موسى، يوسف) فكانت تتناثر أجزاء هذه القصص مستعيناً بجزئية صغيرة منها ليتناص معه ويبدأ برسم لوحة شعرية ناطقة ولكن في إطار الغزل تحديداً.

ولا يخفى على أحدٍ أنَّ كل هذا يأتي على غرار اسلوب التحاور والتشارك، فهو يقصد إلى ذلك قصداً قد يكون بوعي وإدراك أو قد يأتي عفو الخاطر، وفي كلتا الحالتين هو قد وُفق في نتاجه؛ لأنَّ التناص قد خرج لديه من دائرة الاقتباس والتضمين إلى دائرة أكبر تدلّ على فهم وقراءة وتمعّن وإلا لما كان قد اتخذ بعض الألفاظ للدلالة على معنى

وأكثر؛ ليفتح أمام المتلقي مساحة فكرية ورؤيا أكبر للتخيّل وبناء المعنى الذي رام إليه (ابن سهل).

إنَّ النصّ القرآني يحمل صورة الاعتبار والتخويف وصورة الترغيب والتبشير، وهنا تبرز قدرة الشاعر على خوض غمار هذا الجانب المعنوي محاولاً تحويل النصّ إلى مساحة الترغيب مبتعداً عن الترهيب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً مع الالتفات إليه وأخذ أجزاء صورية لتمثّلها بواقع آخر قصده المنتج إليه تتلاءم مع الشعر الغزلي وتحتاجه النفس البشرية؛ لفتح نافذة أكثر اشراقاً تبعث الأمل.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

3. الدلالات القصدية للتناص القرآني

إذا كان (ابن سهل) قد تقصّد أنْ يلتقي بالنصّ الديني (القرآني) تحديداً مع نصّه الشعري فلهذا دلالات منها:

1. إنَّ النصّ المُنتَج يحمل دلالات فكرية ومعرفية تنتهي جذورها إلى الإرث المتأصل في نفوس أبناء الأندلس من تلاقح الحضارات على أرضهم، والتنوع هذا أثرى العقل الأندلسي وجعله منفتحاً على التباين الثقافي. وتمكّن (ابن سهل) مع آخرين غيره من الارتقاء بالفكر والمعرفة إلى مديات متقدمة لا تقف عند حدود الواقع الزمني بل حاولوا التغلّب على ذلك القيد وتجاوزه.
2. غاية دينية: فالديانة لم تكن عائقاً يوقف الفكر فعلى الرغم من انتماء (ابن سهل) إلى عائلة يهودية وتوارد الأخبار عن اسلامه فيما بعد ولربما كان هناك شك في ذلك الاسلام إلا أنَّ الشاعر تمكّن من تجاوز الحدود الدينية فكان قادراً على التمعن في النصّ القرآني والالتفات بشكل علمي مدروس إلى جزئيات هذا النصّ مما أدى إلى وجود تفاعل مشترك بين النصّ الديني والنصّ الشعري ببث بعض التلميحات الدينية وبناء نص شعري متكامل على أساس جزئي صغير.
3. الدلالة اللغوية: فلم تقتصر بنية النصّ على القصص فحسب بل عمد (ابن سهل) إلى البنية اللفظية للقرآن الكريم، فجاءت متخللة للنصّ الشعري عبر إيراد بعض الكلمات والألفاظ لتغيير دلالتها من واقع إلى آخر حسب المعنى والصورة التي أراد انتاجها الشاعر؛ لذلك وجدنا أنَّ أغلب الألفاظ القرآنية التي تناص معها (ابن سهل) قد تحوّلت دلالتها إلى ما قصده ومن ثم خرج التناص لديه من دائرة التطابق إلى دائرة الاختلاف المعنوي مضفياً على النصّ هالة الإبداع والتميّز التي سعى إليها شعراء الأندلس ومنهم (ابن سهل)، فكثيراً ما كانت المنافسة ومحاولة إثبات التفوق والبراعة مسألة شغلت الأندلسيين وبالفعل قد تمكّن الكثير منهم من تجاوز النماذج والقوالب الشعرية والأدبية التي عرفها العرب في نصوصهم، وشهد لهم بهذا نفر غير قليل من أبناء المشرق من ذلك رواية المتنبي لمّا سمع شعر ابن عبد ربه.

ومن هنا يمكن القول إنَّ توظيف النصّ القرآني لم يكن يأتي هكذا عفو الخاطر بل هو صورة تحدٍ ألزم (ابن سهل) نفسه بها؛ ليبرهن مقدار قدرته الابداعية ومخيلته البنّاءة في رفد النصّ الشعري بلون أدبي متميّز.

وانقسم الحديث عن بيان معنى التناص اللغوي والاصطلاحي ومدى ترابطهما معاً، وانَّ الأول يحيل إلى الآخر، وتناول جانب آخر أثر التناص القرآني في شعر (ابن سهل) الغزلي عبر استخدام المفردة أو العبارة من جهة، ومن جهة أخرى أثر القصة القرآنية في رفد النصّ وصورته بمعانٍ وتأويلات أعمق وأغزر ثمَّ عرض أنَّ المنحى التناصي وإنْ ورد لديه عفو الخاطر فلربّما يمكن القول إنَّه قد قصد إليه في عقله اللاواعي؛ في محاولة منه لتوضيح الشعر الأندلسي وموهبته الفذّة في إضفاء حياة جديدة على غرضٍ كثيراً ما تداوله الشعراء دون تحقيق جدة تُذكر، فدارت نتاجاتهم من الغزل العفيف والحسي ولربّما الشاذ فهو جمع بين قداسة وغرابة في آنٍ واحد.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

4. الخاتمة

1. التناص مصطلح دخل إلى الثقافة العربية وتناولته أقلام نقّادها المحدثين ولربّما انبهر بعضهم به، تاركين أو متناسين وجوده في النصّ النقدي العربي القديم وإنْ جاء بدلالة أخرى (التضمين، الاقتباس).
2. ولربّما هو مصطلح دلّ معناه اللغوي على معناه الاصطلاحي واشتركا معاً في الإفصاح عن الكثرة والتداخل بين النصوص والإرث المعرفي والثقافي.
3. لقد كان (ابن سهل) قد قصد بوعي أو دونه إلى التناص مع النصّ القرآني تحديداً فضلاً عن نصوص دينية أخرى، فجاء مرةً ليقع ضمن الاقتباس والتضمين ومرةً أخرى ليدخل في آلية التداخل وبناء نصّ جديد يقوم منه.
4. اعتمد (ابن سهل) على أكثر من آلية وشكل ليأتي بالتناص فمرةً عن طريق الاجترار، ومرةً عن طريق التكثيف والإيجاز.
5. قصد إلى هدفه هذا بالإفادة من بنية النصّ بشكل متكامل ليستعين بالألفاظ والصورة ويتخذ منحى الترميز في بعض الأحيان.
6. يدعو الغزل بشكل عام إلى النظر للحياة بصورة أكثر تفاؤلاً في حين أنَّ النصّ القرآني يحمل الوجهين معاً، ونظراً لما تمتّع به الشاعر فقد كان قادراً على أنْ ينظر حتى إلى صورة الترهيب بنظرة فيها الكثير من الألق والترغيب، وجعلها منطلقاً لبناء صورة فكرية أكثر اشراقاً عند متلقي النصّ.
7. كان قاموسه اللغوي مفعماً بالألفاظ القرآنية، تمكّن الشاعر بثقافته وموهبته أنْ يوظّفها داخل النصّ الشعري؛ لتكون اضاءات معرفية نصّية.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ، تح: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، باقري، ط1، قم، 1414.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط3، لبنان.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د. ط، تركيا، 1989.

[4] د. هادية السالمي، التناص في القرآن "دراسة سيميائية للنصّ القرآني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2014.

[5] تودورف وآخرون، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تح: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية، د. ط، بغداد، 1987.

[6] أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2004.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[7] نبيل علي حسين، التناص دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض"جرير والفرزدق والأخطل"، دار كنوز المعرفة العلمية، د. ط، الأردن، 2009.
[8] رولان بارت، لذة النص، تر: منذر عياشي،دار توبقال للنشر،2001.
[9] رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، ط3 ،1993.
[10] مجموعة من المؤلفين، آفاق التناصية المفهوم والمنظور، تعريب وتقديم :محمد صبري البقاعي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، لبنان، ط الاولى، 2013.
[11] تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط3،1992.
[12] الشعرية، تودوروف، تر: شكري المبخوت،رجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987.
[13] الخطيئة والتكفير "من البنيوية إلى التشريحية"، عبد الله الغذامي، كتاب النادي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.
[14] جويدة جاري،من سلطة النص إلى سلطة القراءة،جامعة الجزائر،كلية العلوم الاجتماعية والانسانية،الجزائر، 2004م.
[15] آواز محمود محمد، التناص في شعر صلاح عبد الصبور، ط1، سليمانية، 2012.
[16] ابن سهل الاشبيلي، الديوان ، تح: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـــ، 2003.
[17] فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة: د. يؤئيل يوسف عزيز، دار افاق عربية، 1985.
[18] جوليا كريستيفا، علم النصّ، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب.
[19] محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة ، بيروت،1979.
[20] القرآن الكريم
[21] عماد الدينابي الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القران العظيم، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1971.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq